مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

دور ابن جني في إثراء اللغة من خلال نماذج من كتابه الخصائص

عرفة صالح أحمد [1] – د. بابكر النور [2] –جامعةالسودان للعلوم والتكنولوجيا [2] – كلية اللغات

المستخلص:

يحتوي البحث على ثلاثة فصول مقسمة إلى ستة مباحث.

الفصل الأول وفيه مبحثان بحيث أن المبحث الأول جعلته لدراسة هذا العالم مولده ونشأته وحياته العلمية ومذهبه النحوي وتحدثت في المبحث الثاني عن كتابه الخصائص.

أما الفصل الثاني يحتوي أيضاً على مبحثين حيث تعرض المبحث الأول لنشأة اللغة وآراء العلماء فيها ومجالات علم اللغة بينما تحدث المبحث الثاني عن اختلاف اللهجات العربية.

الفصل الثالث تناولت في المبحث الأول التصريف والاشتقاق وجعلت المبحث الثاني لدراسة الأصوات والدلالة الصوتية.

الكلمات المفتاحية : الدلالة الصوتية – الدلالة النحوية – الدلالة الصرفية .

Abstract

The research contains three chapters divided into six sections.

The first chapter contains two topics, so that the first topic made it to study this world, its birth, upbringing, scientific life and grammatical doctrine. In the second topic, I spoke about his book characteristics.

As for the second chapter, it also contains two topics. The first section deals with the emergence of language, the opinions of scholars in it, and the fields of linguistics, while the second topic talks about the difference in Arabic dialects.

The third chapter dealt with in the first topic the conjugation and derivation and made the second topic study the sounds and phoneme.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) الحمد لله الذي جعل العربية مفتاح كتابه المبين، وسر إعجازه للعالمين والصلاة والسلام على أفصح العرب ذي اللسان العربي المبين، ونصلى على سيدنا محمد المبعوث بجوامع الكلم المخصوص بالوحي والإلهام، على أصحابه القائمين بنصرة الإسلام وبعد:

إن للعربية براعة خُصت بها مما جعلها تمتزج بالأفئدة والعقول، فدخلت التاريخ مع خير أمة اخرجت للناس، ويزيد العربية فخراً أن أكثر علمائها الذين ضربوا بسهم وافر في إجادتها كانوا من الاعاجم كشيخ العربية (سيبويه) وعبقريها (أبو الفتح عثمان ابن جني) الذي قال فيها: (لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة، وما فيها من الرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلاً عن التقديم لها) . (الخصائص، ص 52– 53)

وضع ابن جني القوانين الكليه للتصريف و استطاع ان يضع للتصريف أصولاً علي المذهب الذي سبقه اليه علما الكلام و الفقه. و هي اصول يصدق منها جانب كبير علي النحو و مسائله و قضاياها العامه كالاعراب و البناء و علله .

(شوقي ضيف ص 267 المدراس النحويه)

أهداف الدراسة:

لا شك ان دراسة العربية وبناء فكرها المعاصر يبدأ من استعادة قراءة التراث على ضوء الفكر الحديث وهذه الدراسة التي بين أيديكم محاولة لذلك نعيد فيها قراءة تراثنا القديم من خلال جهد العالم ابن جنى الذي وجدتُ إن معظم ما توصل إليه من حقائق علمية ، خاصة في مجال الدراسات النحوية والصوتية والدلالية من القرن الرابع الهجري لم تكتشف الآلات الحديثة في معامل الصوتيات الحديثة إلا بعد ألف عام مغيب شمسه من الوجود، ولعلها قد استمدت منه ماهداها ومهد لها سبيلها واردت أن أقف على ذلك من خلال كتاب يُعد خلاصة فكرة اللغوي إلا وهو كتابة الخصائص او خصائص العربية وهو من الكتب التي أقر المجلس الاعلى لدار الكتب المصرية طبعها عام 1993م ضمن مشروع إحياء الآداب العربية.

منهج الدراسة:

أما المنهج الذي أتبعه فهو المنهج الوصفي التاريخي والتحليلي من خلال تتبع القضايا الصوتية الواردة في كتاب الخصائص وثم القيام بوصفها وتحليلها مستعينة في ذلك بآراء ابن جني المبثوثة في كتبه وآراء العلماء المعاصرين له والسابقين ثم مقارنة ذلك بما توصل إليه علم اللغة الحديث من قوانين ونتائج.

ترجمة ابن جني

هو أبو الفتح عثمان بن جني الرومي أصلاً الأزدي ولاء، عاش من القرن الرابع ومات سنة 392هـ كان معروفاً بحسن الخلق وعفة اللسان وملازمة الجد والوقار ، كما انه عرف بالجد والأمانة في النقل والوفاء لمن ينقل عنهم، والتحري في البحث ، فأنت تقرأ في كتبه تجده يعزو الأخبار والأقوال إلى أصحابها ، ويثني على من ينكرهم فيها من العلماء حتى أُولئك الذين يخالفهم في الرأي او المذهب ، ويحرص على الا يأخذ الا ممن سمت فطرته وصحت لغته وهو يري ترك الآخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر نظراً لما عرض للغات الحاضرة من الاختلال والفساد والخطل.

شيوخه:

أتصل بن جنى بعدد من شيوخ عصره ورجالاته ويبدو ان شيخه أبا على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي المتوفي سنة 387هـ كان أبعدهم أثراً في تثقيفه وتنشئته وقيل إن صحبته دامت أربعين سنة وكانت صحبة قائمة على المحبة والأعجاب والتقدير وكان الشيخ يرى في تلميذه آية الذكاء والنبوغ، وكان ابن جني يرى في شيخه الغاية في العلم وما ذكر ابن جني شيخه إلا قرن ذكره بالتجلة والتقدير. (مازن المبارك النصوص اللغوية نصوص من كتابي الخصائص والمزهر في علوم اللغة ص 5 – 6 د. ، ص)

يقول صاحب نزهة الألباء كان سبب صحبته إياه ان ابا على كان قد اتى الموصل فدخل الجامع فوجد ابا الفتح يقرأ النحو وهو شاب، وكان بين يديه متعلم، وهو يكلمه عن قلب الواو ألفاً نحو قائم وقائل وقال فأعترض عليه أبو علي فقال (زبيت قبل تحصرم)، وكان تبحر ابن جنى في علم التصريف سببه مسألة تصريفية.

مذهبه النحوي:

أبو الفتح نحوي كبير ومؤسس لعلم أصول النحو وبهذه الصفة وصفه بعض من ترجموا له فقد قال في نزهة الألباء (نزهة الألباء لأبن الأنباري، ص332) وأما ابو الفتح عثمان ابن جني النحوي فإنه كان أحذق أهل الأدب وأُعملهم بعلم النحو والتصريف.

وتحدث الباخرزي عن تفوقه وقال: ولا سيما في علم الإعراب أخذ النحو عن أبي على الفارسي وقرأ عليه الكتب التي أثرت على مذهبه وأفكاره فيما يعد شيخ ابن على هو أبوبكر محمد بن السري المعروف بابن السراج صاحب الأصول وشيخه المبرد ابن عباس محمد بن يزيد المبرد صاحب المقتضب هو أبوبكر عثمان بن بقية المازن صاحب التصريف وشيخ المازني الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة صاحب القوافي وهو تلميذ سيبويه فهو بصري النحو نسباً وإليهم دائماً يشير باسم أصحابنا.

وإذا عرفنا أن أبا الفتح ألف في أصول النحو كتابه الخصائص وإن لم يحمل اسم (الأصول) كما أسماه ابن السراج وسمى أحد كتبه(المقتضب) كما فعل المبرد وشرح تصريف المازني شرحاً مطولاً سماه (المنصف) وشرح قوافي الأخفش شرحاً دقيقاً وافياً عبر فيه عن أعجابه بالأخفش وقرن ذكر سيبويه بالإجلال عرفنا إلى أي حد يلزم نفسه الانتساب إلى المدرسة البصرية والاقتداء بأعلام النحو البصريين وموقفه التحرري من السماع والقياس والعلة والعوامل الذي أبتعد به قليلاً عن التقيد بكل كبيرة وصغيرة من المذهب.

فقد قال ابن النجار في مقدمة كتاب الخصائص (الخصائص، ص 1/ 44 من المقدمة) أن ابن جنى كان كشيخه أبي على بصرياً وكانا لا يأبيان أن يأخذا عن غير البصريين والكوفيين والبغداديين وغيرهم.

فإنه كان صاحب مذهب مستقل انفرد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح. (الفسر، ص215) وإذا كان الاستاذ احمد امين قد قال يعد أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني مؤسسي مذهب في النحو والصرف تستخدم القياس إلى أقصى حد والفرق بينها وبين غيرها كالفرق بين الحنفية في اعتمادهم الكبير على القياس والمالكية في اعتمادهم على الحديث فهذه الأقوال جميعاً تؤكد بصرية ابو الفتح ولكنها تؤكد على أنه كان ذا عقل متحرر وافق واسع ونظرة بعيدة ومقدرة فائقة على الاكتشاف وسبر ما في الاعماق لخلق وإبداع ما عجز عنه غيره من استجلائه فهو بصري شديد الميل إلى مذهب البصريين ولكنه ذا رأي فكرة في الجانب الاخر تميل إلى معيار الحق أخذ بها دون أن يخرجه ذلك من بصريته.

وعقد ابن جني باباً في الخصائص وهو (أغلاط العرب) وقال في مستهله كان أبو علي رحمه يرى وجه ذلك ويقول إنما دخل هذا النحو في كلامهم لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتصمون بها فربما أستهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد من أغلاطهم أموراً كهمز مصائب وحلأت السويق ورثأت زوجي ولبأت بالحج واستلأمت الحجر وفتح باباً على مذهب البصريين في ترك الأخذ من أهل المدر كما أخذ من أهل الوبر.

وعله الامتناع في ذلك ما عرض اللغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل ولو علم أن اهل المدر باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ من أهل الوبر (الخصائص لابن جني ص 7)

وهو يقيد اجتهاده بالتعليل ويشترط الفصاحة للقبول لهذا رأي جميع لغات العرب فصيحة ولكنه رأي أمر تقوية واحدة على أخرى وعقد لذلك بأب اختلاف لغات العرب وكلها حجة ومن هذا ما تراه في المعاجم والكسر أفصح أو الضم كذا – فالبصريون يحكمون على الأعم الأغلب أما الكوفيون فكانوا يعتدون بالشواهد الفردية.

لقد أخذ ابن جني بالقياس وسار فيه إلى أبعد مدى في باب القول الاطراد والشذوذ) قسم ابن جني الشذوذ إلى أربعة أضرب.

1. مطرد في القياس والاستعمال جميعاً وهذا هو الغاية المطلوبة والمثابة المنويه نحو قام زيدٌ وضربت عمراً ومررت بسعيد وعلى ضوئه تطورت اللغة وقعدت القواعد إذا ليس كل ما بين أيدينا نطقت به العرب وإنما اقتضت الحاجة للقياس على ما نطقوا فكان غنى اللغة وخصبها وتأطير النحو ومنهجيته.
2. مطرد في القياس شاذ وذلك نحو الماضي في يذّر ويدع من ذلك قولهم مكان مبقل هذا هو القياس والاكثر في السماع بأقل.
3. مطرد في الاستعمال شاذ في القياس نحو قولهم (اخوص الرمس) واستصوبت الامر واستحوذ وأعيلت المرأة واستنوق الجمل.
4. شاذ في القياس والاستعمال جميعاً وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو توب مصوون وفرس مقوود... وكل ذلك شاذ في القياس والاستعمال فلا يسوغ القياس عليه.

(الخصلئص ص 1 – 140)

ويرى ابن جنى أن الشيء إذا أطرد في الاستعمال وشذ عن القياس فلا بد من السماع الوارد به فيه نفسه لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره ، والقياس إنما يجري على الأقوى استعمالا وما جاء عن العربي مخالفاً نفسه للسماع ولا يعضده قياس ينبغي ان يرد وقد يقل الشيء وهو قياس ويكون غيره أكثر منه إلا أنه ليس بقياس نحو شنئ من النسب إلى شنوءة وتقفي من النسب إلى ثقيف ولكن أبا الفتح مع تشدده في القياس أخذ به بأخذ السماع إذا ثبت نطقت به العرب يقول: (إذ أداك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء أخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه إلي ما هم عليه فإن سمعت فيه أخر مثلما أجزته فأنت فيه مخير فأستعمل أيهما شئت ولكنه قال ما جاء عن العرب مخالفاً للسماع ولا يعاضده قياس ينبغي) ان يرد أو لم يبق عصمه تضيعه ولا مسكة تجمع سماعه. (الخصائص، ص 1/ 387)

فقد كان أبو الفتح مصراً على ان تبقى العرب منهلاً عذباً يرده الجميع وان تنوعت مشاربهم فلغات العرب كلها حجة.

كتاب الخصائص:

البواعث على تأليفه:

صرح أبو الفتح عثمان بن جني في مقدمه كتابه

كتاب الخصائص أو خصائص العربية لابي الفتح عثمان ابن جنى ، من الكتب القيمة التي أقر المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية طبعها 1993م ضمن مشروع أحياء الآداب العربية ، يقدمه أبو الفتح عثمان ابن جنى مهدى إلى بهاء الدولة الذى قال عنه ابن جنى: (كان كتاب لم يزل على فارط الحل وتقادم الوقت ملاحظاً له عاكف الفكر عليه، منجذب الرأي والروية إليه، واداً أن أجد مهملاً أصله به أو خللاً أرتقه بعمله،والوقت يزداد بنواديه ضيقاً ولا ينهج إلى الابتداء طريقاً، هذا مع إعظامي واعصامي للأسباب المناطة به واعتقادي فيه انه أشرف ما صُنف في علم العرب واذهبه في طريق القياس والنظر وأعوده عليه بالحيطة والصون وأخذه له من حصة التوقير والأون وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة فكانت مسافر وجوده ومحاسر أزرعه وسوقه تصف لي ما اشتملت عليه مشاعره وتحي إلّي بما حيطت عليه أغراضه وشواكله وتريني أن تعريد كلا الفريقين وتحاميهم طريق الالمام به والخفض في أدنى أوشاله وخلده فضلاً عن اقتحام غماره وحججه (الخصائص لابن جني، ج1، ص 55) وذلك إنا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعلم أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه، فأما اصول (ابي بكر) فلم يلملم فيه ما نحت عليه إلا حرفاً او حرفين (الخصائص، ص 1, 2) وستقول في معناه ان ابا الحسن صنف في شيئين من المقاييس كُتيباً إذ أنت

قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك انا تبينا عنه فيه وكفيناه كلفة التعب به، وكافأناه على لطيف ما اولناه من علومه المسوقة إلينا، كتاب لخصائص يضم بين صفحاته اثنين وستين ومائة باباً، تناول فيه ابن جنى جوانب مختلفة في علوم العربية، منها جوانب تتعلق باللغة ونشأتها وأصواتها ورواياتها وما إلى ذلك من ضروب العربية، هذا بالإضافة إلى المسائل العامة في حياة اللغة حيث جوانب نحوية، وصرفية، وصوتية ودلالية).

اما المستوىالنحوي والصرفي فقد عزم علماء العربية على عدم الفصل بين النحو والصرف فصلاً قاطعاً بل مزجو بينهما فيما كتبوه حيث نجد جميع كتب النحو منذ عهد سيبويه تشتمل على النحو والصرف معاً وسلك ذلك عدد كبير من اللغويين المحدثين وط قدمه ابن جنى في هذا المجال (الدرس اللغوي) يعتبر صالحاً وأساساً لفهم المنهج العربي في الدرس الصرفي والنحوي مكتفياً بالإشارة إلى جوانب عدة تتمثل في سمات المنهج الوصفي وهي:

أن مذهب ابن جنى يؤكد المذهب الذي سلكه سيبويه والتابعون من بعده من حيث اعتبار النحو والصرف علماً واحداً وهو ما يهدف إليه الدرس الحديث.

ويتضح من ذلك تعريفه للنحو بأنه انتحاء سمت كلام العرب من تصرفه من أعراب كغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وان شذ بعضهم عنها رده إليها. (الخصائص 35/1)

ومن خلال هذا النص يظهر لنا أن ابن جنى جمع بين النحو والصرف في علم واحد في ذكره للجمع والتصغير والتكسير والنسب وهذه ابواب صرفية وحصره للنحو في كلام العرب دليل على إدراكه الواضح بان النحو مجاله الجملة وذلك واضع في مواضع كثيرة من الكتاب منها ما يقول فيه ان الكلام إنما وضع للفائدة والفائدة لا تجني من الكلمة الواحدة إنما تجنى من الجمل ومدارج القول. (الخصائص 333/2)

اما المستوى الدلالي فقد تعرض فيه ابن جنى لدراسة المعنى الذي يطلق عليه المحدثون (سياق الحال) ومن خلال الدراسة الموجزة للمادة اللغوية التي يحتويها كتاب الخصائص يمكن ان نستنتج ان ابن جنى درس اللغة على أساس المنهج الوصفي بمعنى أنه تنول اللغة في الأغلب الأعم تناولاً لغوياً مبنياً على وصف الظواهر كما هي، وهذا المنهج الوصفي عند ابن جنى يظهر في الآتي:

1/ ان طريقة جمعه للمادة اللغوية كان يعتمد على منهج واضح فقد حدد البيئة التي يصح أخذ اللغة عنها واضعاً باباً سماه (ترك الأخذ من المدر كما أخذ عن أهل الوبر) وقال فيه: ((إن علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلاط والفساد والخطل....)) .

ومعنى ذلك ان ابن جنى جعل المقياس الضروري صحة المصدر اللغوي وذلك بالبعد عن المؤثرات الخارجية يؤكد أنه اعتمد في جمعه للمدة اللغوية على المصدر البشري الواقعي الذي يمثل اللغة تمثيلاً صحيحاً، ويظهر ذلك فيما يرويه عن لقاءاته مع الأعراب الفصحاء وأخذه اللغة عنهم كما سيظهر لنا من خلال مصادره اللغوية.

الدراسة الصوتية (علم الأصوات):

فقد وضع العرب أبجدية صوتية للغة العربية رُتبت أصواتها بحسب المخارج ابتداء من أقصاها في الحلق حتى الشفتين وقد وضع الخليل بن أحمد أول أبجدية في هذا النوع عرفتها اللغة العربية تشتمل على تسعة وعشرين رمزاً وسار فيها على النحو التالي:

(ع ح خ غ – ق ك – ج ش ض – ص س ز – ط د ت – ظ ث ذ ر ل ن – ف ب ل واي همزة)

ثم جاء سيبويه (ت180هـ) من بعده مخالفاً ترتيب الأبجدية الصوتية عند الخليل فأيقن أن الهمزة والهاء أبعد مخرجاً من (ع)، مقدماً بعض الأصوات ومؤخراً بعضها فجاء الترتيب على النحو التالي:

(همزة ا هـ ع ح غ خ ك ق ض ج ش ى ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و) اما ابن جنى فقد أهتم بالأصوات اهتماماً كبيراًفي مؤلفه سر صناعة الإعراب) فهو يُعد من اوائل الذين قعدوا هذا العلم، ووضعوا له الضوابط والمعايير فقد جاء بالأبجدية الصوتية لا يختلف كثيراً عما جاء عند سيبويه فيما عدا وضعه القاف قبل الكاف، وتأخيره الضاد إلى ما بعد الباء.

بالرغم من عدم توفر الأجهزة الحديثة لدى القدماء إلا أنهم قد توصلوا إلى العناصر الثلاثة المؤثرة في عملية النطق، فقد ذكر ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف وفي كتاب (الشفاء باب السمع) أن العملية الصوتية تتضمن ثلاثة عناصر هي:

2. وجود جسم في حالة تذبذب ويشترط له وجود قرع أو قلع أما القرع كأن يطرق صخرة أو خشبة بجسم آخر فيحدث صوتاً، اما القلع كأن ينشق أحد شقي خشبة عن الشق الآخر طولاً. (أحمد مختار عمر البحث اللغوي عند العرب، ، مطبعة دار الكتب، ص 79 – 80)

وجود وسط آخر ناقل للذبذبات، ويقصد به مموجات الهواء أو الماء التي ينتقل من خلالها الصوت إلى المصدر المستقبل وجود مستقبل لتلك الذبذبات فعند تموج الهواء ووصوله إلى الصماغ يتحرك الهواء الراكد داخله فيهز الأعصاب السمعية المنتشرة داخله فيحدث السمع ويبين أثر الطرق الشديد على الأذن، كما بين اختلاف تردد الصوت بين العلو والانخفاض.

ثم التفت القدماء أيضاً إلى جهاز النطق ولا سيما ابن جنى الذي شبهه بالناي وبوتر العود ليقدم صوره عن العملية الطبيعية لإنتاج الكلام، فيذكر في سياق حديثة اختلاف الاجراس لاختلاف الحروف والمقاطع مثلما تنطق حرف الألف، أملس ساذجاً فإذا وضع الزامر أنامله على حروف الناي المنسوقة وبادل بين انامله اختلفت الاصوات وسمع كل حرف منها صوتاً لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماده على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الاصوات المختلفة.

وكذلك تحدث (ابن سينا) عن جهاز النطق شارحاً كل عضو من خلال اختصاصه بعلم الطب والتشريح فجاء حديثة متصلاً بهذه الأعضاء مبيناً آلة النطق في الحنجرة يقول الحنجرة والجسم الشبيه بلسان المزمار وهي الآلة الأولى الحقيقية وسائر الآلات بواعث ومعينات (احمد مختار عمر البحث اللغوي عند العرب، ، مطبعة دار الكتب، ص–ص 80–82)

جهود ابن جني في الكشف عن الدلالة الفنية للأصوات:

ويقول المؤلف قد راجع المتأخرون من البلاغيين البحث في هذا المجال وإن كانت أضافتهم لا تعدوا كونها مجرد إشارات وتقديرات ومراجعات سريعة من تكرار لما سبق وحذا حذوها ابن سنان والقزويني وقد ضموا شروطاً لفصاحة الكلمة يختص بعضها بالنظر إلى أصواتها منها:

(ابن سنان سر الفصاحه ص 61)

1. عذوبة الحروف والمخارج.
2. تباعد المخارج
3. تجنب الحركات المتوالية القتل أنفى للقتل
4. التوسط بين قلة الحروف وكثرتها

فصعوبة اللفظ أو ثقله، ليس أمراً ينافى فصاحته لأنه قد يوافق السياق ويطابق المقام بتلك الصعوبة وذلك الثقل إلا لزم قائل ان يقول بعدم فصاحة الكتاب العزيز لاشتماله على كثير مما وصف أمثاله (الخصائص 28، جهود ابن جني في الكشف عن الدلالة الفنية للأصوات) بانه ثقيل أو صعب في نطقه كقوله تعالى (أَنُلْزِمُكُمُوهَا).

ومع ذلك فهذه الالفاظ في سياقها في درجة عالية من الفصاحة مع أنها صعبة في نفسها وعليه فلا تلازم بين صعوبة الكلمة في النطق أو في ثقلها الذي يهمنا هو ان تكون الكلمة عربية أصيلة كما قال السكاكي أو علاقة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء مثل العرب الموثوق بعربيتهم والدليل على ما ذكره في انه لا تلازم بين صعوبة الكلمة او ثقل جرسها وغرابتها واننا لو تصورنا على سبيل المثال استبدل كلمة (انلزمكموها) بأخرى ترادفها في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام مخاطباً قومه حينما أعرضوا عن دعوته قائلين : قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) (سورة هود الآية 27 – 28)

يقول المؤلف فلاحظ في هذه الآية هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي جاء ضمير الغائب الموصول فيها مضموماً لان القاعدة الشائعة في مجيئه في القرآن هي الكسرة فيقال عليه (بالكسر) لا بالضم وذلك كما في قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10) (سورة الفتح الآية 10) فإذا تأملنا سياق الآية وجدناها تتحدث عن مبايعة المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيم لله تعالى في تلك البيعة ووصفها بأنها مبايعة لله سبحانه وتعالى وإذا كانت البيعة لله رب العالمين فإن حقها التضخيم والتغليظ والتشديد والتوثيق ولذا جاء الضمير (عليه) مضموماً إشعاراً بالتفخيم ، وذلك ما لا يوحي به مجيء الضمير على أصل القاعدة الصوتية لنطق هذا اللفظ في القرآن الكريم فإذا جاءت الهاء في عليه مكسورة كانت اللام في لفظ الجلالة مرفقة، اما حيث جاءت مضمومة فإن اللام لفظ الجلالة تنطق مفخماً فيتناسب تفخيم الجلالة على ما يقتضيه السياق في تعظيم المعاهدة وتفخيم شأنه والتحذير من نكث العهد.

ومن مظاهر العدول الصوتي في القرآن الكريم كذلك العدول بفك الإدغام(يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) في قوله تعالى قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (31) (سورة آل عمران الآية 31) فالقاعدة الصوتية هنا في الإدغام في قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) (سورة المائدة الآية 54) ويمكننا أن نعلل لفك الادغام في الياء المشددة وما يشعر بمضاعفة محبته تعالى ويبسطها ومدها لمن أحبه واتبع رسوله فالناطق بالكلمة بهذه الطريقة يستشعر في اللفظ تدليلاً وتنغيماً للمخاطبين كما يوحي قرب مخرج الباء الشفوية بتقربهم كما يوحي إسكانهم بما في ذلك من هذه المحبة في طمأنينة القلب وسكينته.

والملاحظ عن الدراسات الحديثة قد تركزت في أغلبها على ما يمكن ان تسميه بلغة الاسلوبية بالاختيار الاسلوبي للأصوات والقيمة الفنية للأصوات.

(صلاح فضل علم الاسلوبيه ص 138)

الخاتمة :

تناولت هذه الورقة دور ابن جني في اثراء اللغة وقد أوضحت سيرة ابن جني و نشأته و علمه و وضعت كتابه (الخصائص) ثم عرجت علي أضافاته العلميه للدرس اللغوي في الصوت و الصرف و النحو و الدلالة كما اشرت الي جهوده في علم أصول النحو و قد اسفرت هده الورقه في خاتمتها و ذليها الي عدة نتائج هي

غزارة المادة العلمية لهذا العالم وكثرة الباحثين في هذا المجال.

اعتمد ابن جني على المصدر البشري الواقعي الذي يمثل اللغة تمثيلاً صحيحاً ويظهر ذلك في لقاءاته مع الأعراب الفصحاء.

منهج دراسته في اللغة يشبه منهج الأصول الذي يحدد سبيل الاستنتاج والاستنباط الفقهي.

درس اللغة من جوانب لم تدرس من قبل وكشف عن أسرارها، إنه العالم المتضرع يعرف كنه اللغة واستوعب علم الأصوات وسبب حدوث الصوت ومدلوله.

التوصيات:

أوصي الـ دارسين بالبحث في مؤلفات ابن جني وفاءًلهذا العالم الجليل واستقراءًللتراث بمنظور حديث.

المصادر والمراجع:

أولاً : القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

1. الخصائص لابن جني، الجزء الأول، تحقيق محمد النجار.
2. نصوص من كتابي الخصائص والمثلي في علوم اللغة، مازن المبارك، مطبعة دار الفكر.
3. البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، دار الفكر.
4. الخصائص لابن جني، جهود ابن جني الفنية في الكشف عن الدلالة الصوتية، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب.
5. شوقي ضيف و المدارس النحويه ط 3 دار المعارف .
6. ابن سنان سر الفصاحه تحقيق علي فوده مكتبة الخانجي
7. الفسر شرح ابن جني الكبير علي ديوان المتنبي تحقيق رضا رجب